الفصل الرابع

احتفالات الربيع العراقية والشعوب الأخرى

لقد عرضنا في الفصل السابق فقرات موجزة من قصة "تموز وعشتار" وما ارتبط بهما من احتفالات الربيع وهي حقائق تؤكد بأن الاحتفاء بالربيع تقليد عراقي أصيل.

وقبل أن نعرض مادة أخرى تخص احتفالات الربيع خلال الفترة الإسلامية أرى من الأفضل أن نلم بمعلومات تُلقي الضوء على احتفالات وتقاليد مماثلة لدى شعوب العالم الأخرى بغية موازنة محتوياتها ومعرفة أصولها مقارنة بالعراقية.

لنأخذ على سبيل المثال: سورية، وهي قطر مجاور للعراق، لنرى المستوى الذي كانت عنده قصة الربيع هناك.

إذا ما درسنا أسطورة الربيع في سورية نرى أنها متماثلة في العديدة من النقاط مع العراقية. لقد أطلق السوريون عموماً لقب "اذون" أو "ادون" على بطل قصة الربيع، وهو اسم يعني "السيد" أو "الرب" باللغة الكنعانية التي كانت سائدة في سورية. وإضافة إلى ذلك سموه "تموز" أي بالاسم الذي سمي به في العراق إلى جانب تسميته "بعل". ومما تجدر الإشارة إليه أن "تموز" عُرف بأسماء عديدة في العراق أيضاً. ومن يطّلع على تفاصيل القصة، يرى أن بحياة "أدون" تحيا الطبيعة وبموته تموت الخضرة والحيوان.

مما تشير إليه الأسطورة السورية أن "أذون" قتله خنزير وحشي حينما كان يصطاد. ثم يأتي دور "عشتار" لتقوم بالنزول إلى العالم السفلي ليعود تموز إلى العالم الأرضي فتفيض الأرض بالعطاء والنماء من جديد. وفي لبنان كان الفينيقيون (وهم كنعانيو لبنان) يحتفلون بعيد بعث "تموز مدة سبعة أيام، في حين كان في العراق اثنا عشر يوماً.

أما الاسم الذي أطلقه كنعانيو لبنان على تموز فهو "نعمان" وذلك أنهم ربطوا به لون شقائق النعمان الحمراء، التي تتفتح في الربيع وتلبسه حلة جميلة، وبين دم تموز الذي أراقه الخنزير[1].

وإذا أتينا إلى القطر المصري نرى أن لأسطورة موت إله وبعثه أهمية كبيرة في الفكر المصري القديم. إلا أنه لم يأتنا نص كامل لها باستثناء ما جاء في كتاب "فلوطرخس" المؤرخ اليوناني المعنون "إيزيس و أوزيريس". وتشير القصة أن " أوزيريس" كان الأب الأكبر للإله الأرض وأمه السماء "نوت" إلا أن أخاه "سيث" حسده لذا عمد إلى قتله أثر وليمة تكريمه له بوضعه في صندوق ثم رميه في دلتا النيل. ثم قاد بالصندوق المطاف إلى البحر ثم إلى ساحل مدينة "جبيل". وبعد أن فتشت زوجته "إيزيس" عنه وجدته هناك. ثم جلبت الصندوق إلى دلتا النيل، ولما علم "سيث" بذلك قطّع جسم "أوزيريس" الأمر الذي حدا "بـ إيزيس" أن تقوم بدفن هذه القطع كلا على حده، باستثناء عضوه التناسلي الذي رماه أخوه في البحر. في حين تشير قصة أخرى إلى أن "إيزيس" أخذت ترفرف فوق جثة "أوزيريس" التي أمر إله الشمس بتحنيطها مما جعل الحياة تعود إليه. وبعد قيامه أصبح ملكاً على عالم الأموات[2].

حينما نتحدث على أثر العراق ومصر في اليونان فإننا نحتاج إلى كتاب ضخم يتناول جميع المؤثرات في الميادين كافة. أما بالنسبة إلى أثر قصة "تموز" و"أوزيريس" في الفكر اليوناني فأشير مبدئياً إلى أن المؤرخ "هيرودوتس" (القرن الخامس ق.م) قد أشار إلى التشابه الواضح بين الأسطورتين. ولكن المنحازين إلى اليونان من الأوروبيين يرون في قصة "أدونيس" أو "ديونيسوس" ابتداعاً يونانياً خاصاً، وهو أمر لا تقرّه الدراسات المقارنة، لأن دراسة التفاصيل والمضمون تؤكد الأصل العراقي للأسطورة، والأكثر من ذلك أن اسم "ادونيس" و"ديونيسوس" مأخوذ عن الكنعانية "آدون" أو "آدوناي" وليس في الأمر أي أشكال. ولو راجعنا قصة الإلهة اليونانية "هيرا" لرأينا فيها عين مواصفات "عشتار" من حيث علاقتها بشخص له مواصفات تموز أي "ديونيسوس". لقد كان اليونان يخصوّن "ديونيسوس" باحتفالات الربيع، ولكن لما كانت ظروف العراق المناخية غيرها في اليونان قام اليونانيون بوضع صيغة أخرى للاحتفال.

إننا نعلم بأن أهم ما يميز حضارة اليونان مسارحها الكثيرة التي انتشرت في كل مكان، وحتى في مدينة بابل ترك هؤلاء أحد أبنيتها خلال الفترة السلوقية

اليونانية، ولكن هل تعلم بأن الباعث على نشوء هذا التقليد عراقي على الرغم من أن قطرنا بعيد عنهم؟

على أي حال، العراق بلد قليل المطر ولا سيَّما في فصول غير الشتاء، لذلك فإن الاحتفال بأيام الربيع كان يجري على الطبيعة. أما في بلاد اليونان، سواء في الأطراف الغربية لبلاد الأناضول أو في جزرهم المعروفة فهي كثيرة الأمطار، كما أن قصة "تموز - ديونيسوس" دخيلة عليهم. وبالتالي فإن هذين العاملين أديا إلى إخضاع طقوس الربيع إلى عامل الحصر، وذلك بجعلها تؤدى في بناء معين كان تقليداً لمنحدرات الجبال والوديان. وهذا العامل أدَّى إلى نشوء المسرح المُدرَّج. وكما نفهم من الدراسات أن قصص اليونان ومسرحياتهم نوعان: كان الأول والسابق هو "المأساة" (التراجيديا) ثم جاءت "الملهاة" (الكوميديا). ألا تعلم بأن المأساة التي كانت تمثل في الجبال والتلال ثم في المسارح هي مأساة الإله العراقي "تموز" ودخوله في العالم السفلي؟ علماً بأن كلمة "تراجيديا" مأخوذة من الكلمة "تراجوس" بمعنى "الماعز" و"اويديا" أي "الأغنية". وكما نعلم بأن للإله "تموز" علاقة بالماعز لأنه كان راعياً. وفي الأماكن التي يقطنها الأكراد كان هناك تقليد للقرويين بارتداء زي من جلد الماعز تقليداً لهذا المبدأ أيام الربيع.

وإذا كان هذا بخصوص تموز وأيام الربيع، فماذا عن المؤثرات العراقية الأخرى على اليونان.

هناك العديد من الآلهة بمواصفاتها عراقي الأصل فالآلهة الأرض "كي" بالسومرية وهي "جي" باليونانية و"آنو" إله السماء بالسومرية وهو "اورآنوس" ويبدو أن المقطع "آنوس" هو "انو" نفسه بإضافة السين اليونانية المعرّفة إلى الأسماء، ويبدو أن المقطع "اور" سومري أيضاً وله عدة معاني. أما الإله "نركال" السومري فهو إله العالم السفلي، وحين انتقل إلى اليونان اصبح "هرقل". وفي مدينة الحضر كان العرب يضعون اسم الإله العراقي القديم "نرجول" (أي نركال) في نصوصهم التي وضعوها على التماثيل التي كانت بمواصفات هرقل. ومن الواضح أن هناك شبه في التسمية بين "هرقل" و"نرجل"، كما أنه كان في العراق راعي الحيوان والمدافع ضد الوحوش الضارية منذ عصور فجر السلالات السومرية والأكادية والبابلية وهكذا. أما إله

الصيد "تنورنا" فكان يُمَثَّل بشخص يحمل قوساً وخلفه كلب، وهذه هي عين مواصفات إلهة الصيد لدى اليونان "ديانا". ومثل ذلك في التشابه بقصتي الطوفان والخليقة. (راجع الشكل - ٥) ولاحظ الإله إلى اليسار (الذي يحمل القوس).

أما بالنسبة إلى الأثر العراقي في احتفالات الربيع على الفرس فلا أريد أن أضيف إلى ما قاله الباحث "كريستنسن" في كتابه "إيران في عهد الساسانيين" شيئاً، لقد قال عن عيد الربيع في إيران أن اسمه "بهارجشن"، أي أن اسمه لم يكن "النوروز".

ومما قاله "كريستنس":

- إنه عيد ربيعي قد حفظ بعض خصائص "الزاكمو" الذي هو عيد البابلين القدماء"[٣]. وخلال الغزو الفارسي الاخميني للعراق (٥٣٩ - ٣٣١ ق.م) أي بعد انتهاء الفترة البابلية الحديثة (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م)، استمر العراقيون على الاحتفال بأعياد الربيع، وحينما أتى الملك الفارسي "احشويرش" إلى الحكم (٤٨٦-٤٦٥ ق.م) قام بأعمال مدمرة في العراق فقد هدم مدينتي بابل وبورسبا مما أدى إلى تعطيل احتفالات رأس السنة البابلية الأمر الذي أثار كهنة بابل، وما كان من ملك الفرس إلا أن أسر أكثر الكهنة وقتل عدداً كبيراً منهم.

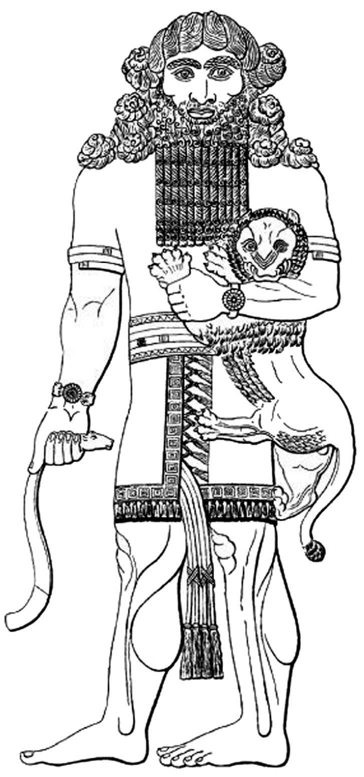

شكل (٧)

جلجامش البطل ويمسك بيسراه شبلاً وبيمناه شعار نركال وهو حفيد "أوتونابشتم" (نوح الطوفان). عن منحوتة آشورية.

لقد كان عيد الربيع الرمز الوطني للعراق.

من النقاط المهمة التي ينبغي التأكيد عليها، هي أن موعد الاحتفال بنوروز العجم لم يكن في الربيع. وعلى أي حال، سنأتي إلى فقرات مختارة تعزز وجهة النظر هذه.

قبل أن نأتي لتقصي علاقة نوروز الفرس بالربيع لا بد من الإشارة إلى شيء مهم وهو أنه إضافة إلى الاقتباسات الفارسية العديدة من الحضارة العراقية فإن هناك عنصراً مهماً اقتبسه الفرس يتمثل في تقسيم أيام السنة إلى اثني عشر شهراً لكل منها ثلاثون يوماً[٤].

دعنا نأتي إلى قول أبي عثمان عمرو الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥ هـ)، صاحب كتاب "الحيوان" المشهور. حدد في كتاب منسوب إليه هو "التاج في أخلاق الملوك" هذه المناسبة لدى الفرس قائلاً: "ومن حق الملك (أي ملك الفرس) هدايا المهرجان والنيروز، والعلّة في ذلك إنهما فصلا السنة، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد، والنيروز اذن بدخول فصل الحر"! ومما قاله أيضاً: "إلا أن في النيروز آحوالاً ليست في المهرجان: فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج"[٥] ومن هنا نفهم أن نوروز الفرس لم يكن ربيعاً. وإضافة إلى أقوال الجاحظ هناك مراجع أخرى تؤكد ذلك.

والعبارة المهمة التي أوردها أبو الريحان البيروني (٤٤٠ هـ) في كتابه "القانون المسعودي"، الذي قال في النوروز: "إن اسمه يُنبئ عن معناه. أعني اليوم الجديد، لأنه مفتتح السنة وغرّة الحول وموضوعه في الأصل أطول يوم في السنة وإنما يخص بذلك لأن الوقوف عليه من إظلال الأوتاد على الحيطان ومن مرور الضياء والداخل من الثقوب إلى البيوت يسهل على من أراده من غير ارتياض بعلم الهيئة، وفيه افتتاح الخراج بسبب إدراك الغِلاّت"[٦]. أما إذا أتينا إلى "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين النويري (٦٧٧ - ٧٣٣هـ) فنراه يعرّف هذه المناسبة لدى الفرس بالقول:

"فأما النيروز، فهو أعظم أعيادهم وأجلها. يقال أن أول من اتخذه جمشيد، أحد ملوك الفرس الأوائل. ويقال فيه جمشاد، ومعنى جسم القمر، وشاد الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن طهو مرت لما هلك، ملك بعد جمشاد، فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي اليوم الجديد". وقال: "ومن الفرس من يزعم أن النيروز اليوم الذي خلق اللّه (عز وجل) فيه النور وإنه كان معظم القدر عند جمشاد. وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك بالدوران"[٧]. ومثل هذا القول يورده أبو العباس القلقشندي

(ت - ٨٢١هـ) في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، الذي قال أيضا: "وفي بعض التآليف أن جم شاد ملك الأقاليم السبعة والجن والانس، فاتخذ له عجلة ركبها، وكان أول يوم ركبها فيه أول يوم من شهرر افريدون ماه، وكان مدة ملكة لا يريهم وجهه، فلما ركبها أبرز لهم وجهه، وكان له حظ من الجمال وافرا، فجعلوا يوم رؤيتهم له عيدا، وسموه نوروزا" !!![٨].

إن هذه العبارات حقائق لا يمكن أن نضيف إليها شيئاً إلا لنؤكد حقيقة أن نوروز الفرس لا علاقة له مطلقاً بأعياد الربيع.

ولكن ربما نسأل عن السبب الكامن وراء حدوث الالتباس المتمثل باعتقاد الناس في أن نوروز الفرس كان ربيعياً.

لقد حصلت التباسات لا التباس واحد ففي مصر حصل التباس في التسمية وبالمطابقة مع بدء السنة المصرية القديمة. وفي العراق وبلاد الشام حصل الالتباس نتيجة لإهمال السنة الفارسية بعد تداعي دولة الفرس الساسانيين، لذلك حينما حلّ العصر الإسلامي، رأوا تاريخاً يختلط بعضه ببعض وذلك لإهمال كبس السنين ومن ثم تراكم الأخطاء في الحسابات الأمر الذي جعل نوروز العجم الصيفي يزحف تجاه الربيع في مطلع العصر الإسلامي.

أما إذا أتينا إلى مصر فإن تاريخها العريق وما قدمته للإنسانية في ميدان العلوم والفنون كثير تماماً. وإذا كان كلامنا عن التقاويم فإن مصر توصَّلت لأكثر التقاويم ضبطاً بسبب اعتمادها رصد الشعرى اليمانية، التي يتزامن ظهورها مع فيضان النيل صيفاً. وعندما أتى الامبراطور الروماني يوليوس قيصر (القرن الأول ق.م) إلى مصر اقتبس ما سمي خطأ بالتقويم اليولياني نسبة إليه. وعلى أي حال إن ما بقي متداولاً من تقويم مصر بتسمياته هو لدى الأقباط المصريين. وفي ذلك يقول القلقشندي في الأعشى: "الشهر الأول منها توت، ودخوله في العشرين من آب من شهور السريان، وآخره السادس والعشرون من أيلول منها، فيه يدرك الرطب ويكثر السفرجل والعنب الشتوي، وتبتدئ المحمضات. وأول يوم منه يوم النيروز، وهو رأس سنة القبط"[٩]. وقال أيضاً: "وكان القبط والله أعلم اتخذوا ذلك على طريقة الفرس واستعاروا اسمه منهم فسموا اليوم الأول من سنتهم أيضاً بالنيروز وجعلوه عيداً"[١٠].

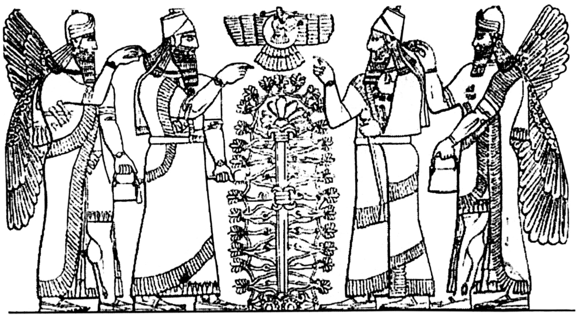

شكل (٨)

مشهد بالنحت البارز لملك آشوري بوضعين أيمن وأيسر وظهرت بينهما شجرة الحياة التي استعارها الأوروبيون لشجرة الكريسمس. وفوق الشجرة رمز الإله آشور الذي اقتبسه الفرس لإلههم أهورا مزدا. وخلف الملك إلهان مجنحان بيدهما مخروط صنوبر لإخصاب الزرع. ويبدو أن المشهد يمثل جانباً من احتفالات الربيع.

ومن المعلوم أن أسلوب التطابق في التقويمين ونسيان الخط الهيروغليفي المصري قد ساعد في أن يحمل اسم النيروز كما أن السلطة السياسية في الفترة الساسانية خاصة قد جعلت مصر تقتبس التسمية "نوروز" بدلاً من اسم آخر. ومن الواضح أن هذا يؤكد الأصل الصيفي لا الربيعي للنوروز.

وبعد هذا العرض السريع لما كان في العالم القديم من معتقدات تخص احتفالات الربيع، نأتي إلى ما كان عليه النوروز خلال الفترات الإسلامية. وقبل أن نتحدث عن هذا الموضوع، لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين اتخذوا التقويم الهجري المُتغيِّر باستمرار لاعتماده على حركة القمر. وبذلك يختلف التقويم الشمسي عن القمري بنحو أحد عشر يوماً كل سنة. ومن الواضح أن سبب اتخاذ هذا التاريخ المتغيِّر كان لغرض إبعاد العرب والشعوب الأخرى عن الاستمرار في الاحتفال بالطقوس الوثنية التي تؤكِّد على اتخاذ أيام ثابتة معينة أو فلكية دائمة أو شبه دائمة. ولكي نتأكد من ذلك أن الإسلام كره عمليات الكبس التي تطرأ على التقاويم وهو ما أسماه بالنسيء الذي قال عليه بأنه "زيادة في الكفر". لذلك كان لا بد من اختيار تاريخ ثابت للأمور الاقتصادية.

لنأخذ على سبيل المثال ما حصل زمن الدولة الأموية. لقد طلب معاوية بن أبي سفيان من أهل السواد (أي العراقيين) أن يهدوا عامله على الخراج في "النوروز" و"المهرجان" ففعلوا. وذلك على ما قاله "الجهشياري" في كتابه الوزراء[١١]. وبما أن

النوروز الفارسي كان صيفاً لذلك كان الموعد الذي تستفتح فيه جباية الخراج، وقد أوردت قول العالم البيروني في ذلك صريحاً.

لقد سبق أن أشرت إلى أن الفرس اقتبسوا التسميات العراقية للسنة. ولم يكتفوا بذلك بل اتبعوا عادة الكبس العراقية(١٢).

وحينما أتت دولة الفرس الساسانيين إلى نهايتها أهملت أموراً منها عملية الكبس، لذلك لاقى المسلمون متاعب اقتصادية بسبب اعتماد النوروز في جمع الضرائب من الغلاّت الصيفية، لأن هذا الشهر تقدم من حزيران إلى آيار ثم نيسان. لذا طلب الدهاقنة من "خالد القسري" الذي كان والياً زمن "هشام بن عبد الملك" تأخير النوروز شهراً، لأن تقدمه أضرّ بالناس، فكتب إلى الخليفة "هشام"، فأجاب بأنه يخشى أن يعني ذلك النسيء الذي نهى عنه الإسلام(١٣).

لقد استمر تذمُّر المسلمين من تقدم النوروز الفارسي الصيفي إلى غير موعده. وفي زمن الخليفة "المتوكل" العباسي (٢٣٢-٢٤٧ هـ)، حدث أنه كان يطوف في بعض البساتين ورأى عدم نضج المحاصيل فيها واقتنع بعدم إمكان جمع الضرائب في تلك الفترة التي تحوّل إليها النوروز، الأمر الذي دعاه إلى إرجاعه إلى الوراء لغاية (١٧) حزيران، وكان موعد الإصلاح هذا عام (٢٤٣) للهجرة. إلا أن قرار "المتوكل" أهمل بعده، ثم أرجعه الخليفة "المعتضد". لقد أصدر تعميمه بذلك عام (٢٨٢هـ). إلا أن العالم "البيروني" (المتوفى عام ٤٤٠هـ) رأى أن الخلل أو التقدم في النوروز كان سبعة وسبعين يوماً بدلاً من ستين، أي أنه طلب إرجاع موعده إلى (٢٨ حزيران).

لم يقتصر الاهتمام بإصلاح موعد النوروز على كتب التاريخ والاقتصاد بل تعداه إلى كتب الأدب، فها هو "أبو عبادة البحتري" (٨٢٠-٨٩٧م)، شاعر سامراء الكبير، تغنى بإصلاح "المتوكل" للنوروز المتداول قوله:

أنت حولته إلى الحالة الأولى ... وقد كان حائراً يستدير
فأفتتحت الخراج فيه، فللأمة ... في ذلك مرفق مشهود

إلا أن ذلك لم يمنع من تغني "أبو عبادة البحتري" بنوروز الربيع العراقي الأصيل، وحسبنا أن نورد أبياتاً من قصيدته المشهورة قوله:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبّه "النوروز" في غسق الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوّما

يُفَتِّحها برد الندى فكأنما ... يَبُثُّ حديثاً بينهن مُكَتّما
ومن شجر ردّ الربيع رداءه ... كما نشرت ثوباً عليه منمنما
أحَلَّ فأبدى للعيون بشاشة ... وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الجو حتى كأنما ... يجيء بأنفاس الأحبة نعّما(١٤)

وبعد أن عرضت لاحتفالات الربيع القديمة والإسلامية، أرى بأنه من الضروري أن أعود قليلاً إلى الفترة العربية قبل الإسلام لكي نلم بمعلومات أوفى حول مفهوم العرب لأعياد الربيع آنذاك، ولنأتِ إلى من يطلق عليهم اسم الصابئة طالما أنهم أكدوا على الاحتفال بحلول الربيع.

من الواضح أن كلمة "صابئة" تطلق على عبدة الكواكب السيارة، أو الهياكل الروحانية المفترضة التي تقف خلفها، وهم عراقيون وعرب، ومنهم من سكن حرّان جنوب بلاد الأناضول. ومن مزايا ديانة هؤلاء الاستمرار على الكثير من تقاليد الديانات العراقية السابقة، من ذلك ما يخبرنا به ابن النديم في الفهرست(١٥)، وابن حزم الأندلسي والشهرستاني (ت- ٥٤٨هـ)(١٦)، وأبو العباس القلقشندي(١٧)، مع أن هؤلاء كانوا يحتفلون بأيام الربيع التي تمثل بداية سنتهم وأعظم أعيادهم. ومن الجلي أن ذلك كان يحصل عندما كان الانقلاب الربيعي في برج الثور في الأزمان البعيدة، ثم انتقل إلى الحمل، وحالياً في درجة من برج الحوت.

أما بالنسبة إلى مدينة الحضر المعروفة، والتي تقع إلى الجنوب من مدينة الموصل على بعد نحو (١١٠ كم). وازدهرت قبل نحو (١٩٠٠ سنة) فقد قام الباحث بأجراء أرصاد لحركة الشمس على مدى عام بين سنتي (٨٣- ٨٤) لمعرفة أمور تخص معتقدات الحضريين العرب.

إن أهم ما رآه الباحث في مدينة الحضر اتجاه مبانيها باتجاهات متماثلة، أعني المعابد والبيوت، بل حتى القبور. وهو ما جذب الانتباه ولا سيَّما المعبد الكبير الذي يحتل مساحة واسعة وسط المدينة، وقوامه ساحة تحتل ثلاثة أرباع المساحة التي يفصلها عن حارة لبيوت الآلهة جدار يتعامد على ضلعيه الجنوبي والشمالي. وخلف هذا الجدار توجد أواوين ضخمة منها ثمانية تواجه الشرق. وخلف الإيوان الجنوبي الأوسط يوجد معبد مربع مساحته الخارجية (٢٨ × ٢٨) متراً، وفي وسطه غرفة مربَّعة يحيط بها ممر بأربعة اتجاهات. وكانت البعثة الألمانية التي زارت الحضر في مطلع هذا القرن قد عملت كتاباً

بجزأين عنها وأشارت إلى وجود منحوته بشكل شخص يمثل إله الشمس إلا أنها سرقت وغير موجودة في محلها، وعندما ندرس هذا المعبد المربع دراسة مقارنة نرى أن هناك ما يماثله ومن نفس الفترة أو قبل مثال الحضر في سورية، وكذا جزيرة العرب. ومن الواضح في علم التنجيم أن الشكل المربع هو رمز لإله الشمس. لذلك أجرى الباحث العديد من الاستطلاعات لمعرفة الأوقات التي تدخل فيها أشعة الشمس إلى الغرفة المربعة، وكذلك الموعد الذي تتعامد فيه الشمس بشروقها وغروبها على المعبد الكبير.

لقد وجد الباحث أن موعد التعامد الحالي للشمس على العبد عند الشروق يقع بين يومي (٢١-٢٢) تشرين أول، ثم تذهب في أقصى نقطة لها صوب الجنوب يوم الانقلاب الشتوي، لتعود أدراجها فتتعامد مرة أخرى يومي (٢١-٢٢) شباط وقد تمكن الباحث من تعيين منصة الرصد التي كان الحضريون يرصدون منها كما يبدو وكذا القوس التي يمكن منه مشاهدة قرص الشمس المتعامد في الفترتين المذكورتين.

ومن الواضح أن الفترتين المذكورتين لا تمثلان الفترة التي كان الحضريون يحتفلون فيها، أو تتعامد فيهما الشمس عند شروقها، ذكرنا وجود انحراف بما يسميه العلماء خاصية الترنح التي مقدارها درجة واحدة كل سبعين عاماً. وحينما نعود إلى الوراء نرى بأن فترة التعامد وقت اتخاذ هذه النقطة للتعامد، كان نحو (٢١) آذار ومطلع تشرين الأول. وهو ما يمثل وقت الاعتدالين الربيعي والخريفي آنذاك(١٨).

وإضافة إلى ذلك أن أسماء الأشهر في مدينة الحضر وكذلك تدمر المعاصرة لها في سورية هي أسماء بابلية قديمة.

"إذاً لقد وجهت الحضر اتجاهات معابدها لتستقبل بشائر الربيع مما يشير إلى أن كل شيء يؤكد ذلك، فالعرب والأكراد يحتفلون بالربيع لأنه منطلق الخير والبركة والجمال.

لقد كنّا ولفترة قريبة نرى عامة الناس في بغداد تجتمع في أماكن خاصة وقت حلول الربيع، وكانوا يطلقون عليه "الكسلة".

وعلى أي حال، لقد شاهد الباحث أبناء الشعب في الجنوب يحتفلون يوم (٢١) آذار بالربيع ويذهبون إلى الأئمة الأكرمين ليمضوا يوماً أو يزيد في كربلاء والنجف احتفالاً بهذا العيد العراقي التقليدي منذ أقدم الأزمنة وإلى الآن.

الهوامش

١. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد/١٩٥٦/ج/٢، ص/٢٦٣-٦٤.

٢. المصدر السابق، ص/٩٢-٩٦.

ولمقدم المادة العلمية كتاب في أثر حضارات الوطن العربي على اليونان قيد الطبع، ومن ذلك البحث في نشوء المسرح اليوناني وتأثير العراق فيه.

٣. كريستسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، (ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام)، القاهرة، ١٩٥٧، ص/١٦٢.

٤. طه باقر: موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية، بغداد، ١٩٨٠، ص/٨٩.

٥. الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، (تحقيق أحمد زكي)، مصر، ١٩١٤، ص/١٤٦، ويراجع أيضاً: الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية في الدولة الإسلامية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص/٢٠٣.

٦. البيروني: القانون المسعودي، الدكن، ١٩٥٤، ج/١، ص/٢٦١.

٧. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مطابع كوستاتوماس، القاهرة، السفر الأول، ص/١٨٥.

٨. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية - مطابع كوستاتوماس)، ج/٢، ص/٤١٨.

٩. القلقشندي: ج/٢، ص/٣٨٣.

١٠. القلقشندي: ج/٢، ص/٤٢٩.

١١. الريس: ذات المصدر، ص/٢٠٣.

١٢. طه باقر: ذات المصدر، ص/٨٩-٩٠.

١٣. الريس، ص/٥٤٦-٥٤٧.

١٤. القلقشندي: ج/٢، ص/٤٠٥.

١٥. ابن النديم: الفهرست، (تحقيق رضا تجدد)، طهران، ١٩٧١، ص/٣٨٦.

١٦. الشهرستاني: عبد الكريم، الملل والنحل، مطبعة الخانجي ١٢٣٦هـ، ج/٢، ص/٩٥-١٠٥. وهو حاشية كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي.

١٧. القلقشندي: ج/٢، ص/٤٣٩.